

صفحات من مذكرات طبيب

(١)

المقاومة

احدثكم اجابتي :

من المكتب للمكتب

انا انقاض ساقية تدور بثورها الاحدب

أنا طاحونة الموتى .. تأكل حجرها المتعب

أنا بئر الندى تعطي بلا من ولا تنضب

وخذ يقبل الصفعات في صمت ولا يعتب

أَسألني اقول الحق لا تغضب

أقول لكم : أنا متعب

احدثكم اجابتي :

فبعد شهادة التخريج قذفوني الى الشارع

الى جمهورنا المصلوب تحت الشمس مثل الخنجر القاطع

اداوي غصة المظلوم ... اروى معدة الجائع

احقن في سرير الموت جثة شعبنا الضائع

أخدر حسه الشفاف أطفىء لونه الفاقع
وأخفي عن عيون الناس سر مصيره الفاجع
أتسألني أقول الحق لا تغضب
أقول لكم : ... انا ضائع
أحدثكم احبائي :
وعند الصبح اعمل بعض اشياءني
الى المكتب
تقابلني صفوف الناس تسند ظهرها - في الظل -
تحت الحائط الاجرب
فلا تعجب

إذا بدأت صفوف الناس كالماتم
وقد شخصت بابصار من الاعياء تتألم
وقد ضاقت بها الحجرات كالصندوق تحت غطاءه المحكم
انا وحدي حبيس الدار
يرهقني عزاء الناس في الماتم
الاقيهم بفاتحة ... بآيات من القرآن ... بالبسم
وقد نفذت لفافاتي واشرطتي
ولم تنفع وريقاتي وادويتي
إذا ضجرت ... اذا غضبت وصار الهمس يتكلم

فويل الكاهن الاعظم
فان الشعب لن يرحم
اذا اسرعت في التشخيص في عجل فلن يرحم
اذا ابطأت في التشخيص في صبر فلن يرحم
فان الصنف يتقدم
وان الوقت يتقدم
واعصابي كنافذة امام الريح تتحطم
اتسألني اقول الحق ... لا اعلم
فأنسانيتي ذبحت على اعتاب رؤسائي
كما اغتيلت باحشائي
اقاموا متحفا للطب من جراحي واشلائي
ومن اعصاب زملائي
« وشرف المهنة » المصلوب تحت لسان اعدائي
صليب يتقل الكفين يرهقني باعبائي
ساحله لابنائى
فقدر الطب في بلدي خرافي وعشوائي
احدثكم احبائي :
احدثكم عن السودان
ارض التيه ... غاب الصمت والاحزان

وأدمن شعبه المغلوب في ازماته النسيان
ليعلن اتنا شجعان
أحدثكم عن الدجال والعراف والكهان
بنوا في أرضنا هرما من الصدقات والاحسان
وما زالت قوافلنا تزور ضرائح الغفران
وتسرق لقمة المحروم والمحزون والجوعان
لتبني قبة الامجاد
ويدفع شعبنا بسخائه المعروف « للاسياد »
ويسجد عن طواعية يبارك قسوة الجلاد
يكذبنا اذا قلنا له : قد فاتك الميعاد
بحار الصحو قد غسلت شواطئنا من الاحقاد
رفعنا في شوارعنا هنالك زينة الميلاد
هدايانا الى الاحفاد
أحدثكم عن الانسان :
يشتمني ... وينعتني بكل العار والخزلان
ويرميني بأشياء تغص الخلق بالغيثان
يلاحقني بكل مكان
وينسى انني انسان

واني صورة للعجز - ان وجدت - بكل خريطة السودان
أتسألني اقول الحق لا تغضب
الا ما اضيع الانسان في السودان
قد ضاعت هويته بلا اسم ولا عنوان .

١٠ مايو ١٩٦٩

- ٨٧ -